النقد النصي للوحي لدى الحداثيين بين النقل التقليدي والمرجعية الحديثة

بقلم

سعـد عـــيّ د/ خالد حباسي

جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي

habkhaled@gmail.com

المقدمة:

جاء مشروع الحداثة العربي المعاصر معلنا صراعا وحربا على الدين، وقد حاول أهلوه أن يقيموا لهم مرتكزات على أساس وفكرة من نقض أسس المرجعية الإسلامية، وكم اجتهد وأبدأ وأعاد متطرفوه والغلاة من حملته في نقد الوحيين ليصلوا إلى هدم الدين بل ولم لا؟ إلى ردمه في خطوات تالية، انطلاقا من فهم سقيم وفكر عقيم يخيل إليهم من ورائه أن أساس النكبة وأحد المثبطات والمعوقات البنيوية للتقدم صعدا في آفاق الكون المنظور إنما هو الدين، ومستند هذا الدين إنما هو هذا الوحي والكون المسطور.

تعددت التهم التي نسجها هؤلاء حول القرآن ليثبتوا لغافل أو جاهل أو ناس أن هذا الكتاب المزعوم له حفظا ومعصومية لم يحافظ على ماذكر، بل طالته يد التحريف والتبديل على أيدي النسخة طورا وعلى ألسنة القراء طورا آخر، ومن ثم رأيناهم ينطلقون صوب الغرب –حيث مغربها– ليستعيروا المعلبات الجاهزة والتي تفصح وتنادي من خلال ظاهر وباطن أن هذا المنتج الفكري غير قابل للتقليد أو المحاكاة أو التصدير لبيئة أخرى مغايرة له منشأ وآلة منطلقا وغاية.

وكم خانت القوم العارية التي تحملوها من الآخر ، ولم تسعفهم في تحقيق غاية وإدراك مأرب، فغدوا مثل الغراب الذي حاكى ما أعجبه من مشية الحمامة ، فلما عيي من التقليد السمج عاد ليمشي سويا على مافطر عليه من سابق سيره فنسي الفطرة، فتراه كحال المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى، وقد بلوناهم في كتبهم وخطبهم ومشاريعهم فما حققوا لنا حضارة وفكرا مقدورا، ولا أحيوا لنا إرثا ظل روحا وثابة وعقلا طلعة في جسم أمة حكمت وسادت أكثر من عشرة قرون دون منافس أو منازع لها طيلة هذا التاريخ المشهود.

نعم ، لقد انطلقوا ليطبقوا نظرية النقد النصي على الكتاب العزيز كما طبقها قبلهم غربيون ومستشرقون على التوراة والإنجيل، فوقعوا من حيث لم يحتسبوا في مستشنعات سقطات اليهود في اتهامهم الفعال لما يريد بتهمة البداء، وباءوا بإثم إخفاقات المرجعية القديمة المحرفة للكتب المقدسة ، ثم زعموا زورا أن النقص اعترى القرآن كما اعتراه نسخ وتبديل، واستمروا في غوايتهم بتصنيفهم الكتاب المطلق والعابر للأزمان تحت مفهوم التاريخانية، ومن ثم ربطه بأسباب النزول كي لا يعدو معالجة قضايا البيئة والزمن الذي نزل فيه، ومن ثم سهل الطعن في إعجازه وقداسته، فباءوا مرة أخرى بوزر وتبعة وإخفاق ما تعب في إنتاجه الفكر الاستشراقي الذي رفعت مدرسته راية الانهيار والتراجع حتى رأينا تحولا لنشاط رموزه نحو دراسات إنسانية معاصرة..

إن اللافت للنظر هو فشل وترنح المشروع الحداثي القائم على نقد الخطاب الشرعي الإسلامي ، والذي كان في الأساس عالة على آراء المدارس الفلسفية الغربية والتيارات الفكرية عموما.

إشكالات علمية حول كلام الله طرحها أصحاب القراءة الحداثية:

من الواضح للعيان أن أصحاب القراءات الحداثية أثاروا جملة من الإشكالات بشأن القرآن الكريم ، معتبرين إياها إشكالات حقيقية جوهرية وجب الوقوف عندها وحسم أمرها ، ولعل المتأمل سيجد أنها إشكالات "موهومة" لا علاقة لها بالقرآن الكريم أساسا، بل إنها إشكالات مرتبطة بالكتاب المقدس يحاول هؤلاء الحداثيون بقراءاتهم إسقاطها على القرآن، ومشكلة أصحاب هذه القراءات ليست فيما يدعون إليه من تطبيق المناهج الحديثة على القرآن الكريم ، بقدر ماتكمن المشكلة في هدفهم من ذلك ، فليس الهدف بحث عن الحقيقة بل الهدف هو إثبات ما اعتقدوه سلفا، والمتمثل في أن الدراسة العلمية والموضوعية ستفضي إلى النتائج نفسها التي أفضت إليها الدراسات التوراتية، فهم يريدون تطبيق المناهج التي طبقت على الكتاب المقدس للوصول إلى النتيجة المسبقة وهي أن القرآن عرف ماعرفه الكتاب المقدس من زيادة وتبديل، ومن كونه كتب في وقت متأخر وغيرها من الأوهام....

ولعل هذا ماجعل محمدا الطالبي يصف أصحاب القراءات الحداثية بـ"انسلاخسلاميين"، مقتبسا هذا الوصف من قوله تعالى في من انسلخ عن آيات الله "واتل عليهم .....الغاوين"، بمعنى أنهم انسلخوا عن الإسلام واتبعوا سبل بعض المستشرقين الذين يرومون منذ القدم الطعن في القرآن الكريم الكتاب الذي تأذنت إرادة الله بحفظه من خلال توفير أسباب ذلك الحفظ بما لم يتيسر لكتاب من قبله... [1].

وقد اعتبر الطالبي هؤلاء صنفين : "صريح ومقنع ، وكلاهما لا يعتبر الإسلام دينا، ويعتبر القرآن عملا بشريا يجب أن ترفع عنه القداسة ، وتقع مقاربته مقاربة

[1] يوسف الكلام، القراءات الحداثية للقرآن الكريم ومناهج نقد الكتاب المقدس، مركز البحوث والدراسات ، ص 9-10.

انثروبولوجية تستخدم كل العلوم الإنسانية كما وقع ذلك وتم بالنسبة لباقي الكتب التي كانت مقدسة فبل تحريفها، كالتوراة والإنجيل ، التي رفع عنها النقد الحديث القداسة، إذ القرآن لا يختلف عنها في شيء-بزعمهم-، فهو أيضا قد ناله التحريف بمختلف أشكاله، وتعاورته الأيدي طوال أكثر من قرن، قبل أن يضبط ضبطا نهائيا أو شبه نهائي، بكتابة لم يستقر وضعها بالنقط والشكل ومختلف القراءات إلا بعد زمن طويل من الفتل واللي" [1].

التقليد في عملية نقد النصوص المقدسة:

النقد الحداثي الذي تزعمته جماعة الحداثيين العرب المعاصرين ليس هو في الحقيقة إبداعا أو ابتكارا جديدا بل هو عبارة عن طروحات فكرية ونقدية منقولة إلينا من الغرب...يعرفها معظم العلماء والأكاديميين ، وهي طروحات معروفة في الغرب وتعرضت إلى النقد والتجاوز في عدة ميادين ، ولكن الجانب الجديد فيها إنما هو تطبيقها على الخطاب الشرعي الإسلامي، وهذا مايثير الفضول العلمي ويدعو إلى مراجعتها على أسس علمية[2].

ومن نافلة القول التذكير بأن أشهر المرجعيات التي استندت إليها الطروحات النقدية الحداثية في تقييم الخطاب الشرعي الإسلامي وتهديم بنيته هي مرجعيات مذهبية في فكرنا الإسلامي، مثل مذاهب الشيعة والمعتزلة التي كانت تتبنى أفكارا تشير إلى نقد الوحي والكتاب، وتتبنى مناهج عقلية وتأويلات باطنية قتلت بحثا ونقدا منذ مئات السنين ثم أحياها المستشرقون وأعادوا النظر فيها بأدوات جديدة

[1] الطالبي محمد، ليطمئن قلبي، ج 01: قضية الإيمان وتحديات الانسلاخسلاميين ومسيحية قداسة البابا بنوا 16، من أين أتينا ؟، ماذا نحن؟، إلى أين نذهب؟، تونس دار سراس للنشر، 2007م، ص35.

[2] عزوز بن عمر الشوالي، التناول الحداثي للخطاب الشرعي الإسلامي وإشكاليات المنهج البدائل المستعارة والتطبيقات المأزومة،منشورات مركز الدراسات القرآنية بالقيروان، ط01، ص112.

فاستعار الحداثيون المشكلات المذهبية والطعون الاستشراقية وأضافوا إليها أدوات ووسائط جديدة من أهمها أدوات النقد اللساني البنيوي، ومناهج الأنثربولوجيا ،والأركيلوجيا، والهرمينيوطيقا وغيرها فحشدوا كل هذه المرجعيات لنقد الوحي والكتاب تمهيدا لتغييرهما تغييرا جذريا أو استبعادهما واستبدالها بمرجعيات وضعية جديدة...

إن البحث في الصلات الوثيقة بين هذه المرجعيات التقليدية والحديثة يعتبر من أسس المراجعة الرصينة لهذا النقد الحداثي ولكن الأهم من ذلك هو أن نقدم للقارئ والباحث والمتعلم السياق الجامع حتى نتجنب العجة الفكرية وخليط الأفكار السائدة في مجالاتها وقد أنتجتها موضوعات وسياقات معينة، وهي مناهج بحثية مقررة عند الغربيين وإنما الإشكال من ناحيتها يتأتى من محاولة تطبيقها على الخطاب الشرعي الإسلامي التأسيسي "القرآن والسنة"، لذلك فقد تبين في هذا المنوال الكشف عن الحل المعرفي الذي غلب الاعتقاد أنه الحقل الأم الذي ينهل منه النقاد الحداثيون بمختلف مشاربهم ويبرزون أدواته ومناهجه تحت مسميات عديدة بل ربما استعانوا بما يدعمه ويقويه من الحقول العلمية المتاخمة له وهو علم النقد النصي.

يدعى هذا العلم بعلم النقد النصي ، وهو منهج نقدي مطبق على التوراة والإنجيل من قبل، تقلده الحداثيون وطبقوه على الخطاب الشرعي الإسلامي بأسماء ومصطلحات مختلفة واستعانوا على تكييفه مع الوحي الإسلامي بالمرجعيات المذهبية والاستشراقية واللسانية والبنيوية[1]. ...

وقد يكون من الواجب التعريف بهذه المصطلحات نظرا لغيابها نوعا ما في أفقنا الثقافي ، وقلة تداولها في المساجلات والدراسات العلمية لدينا، وسنبدأ بتعريف علم

[1] المصدر نفسه، ص113.

النقد النصي، ثم نعرج على المناهج التي تتوسلها هاته العلوم ومنها المنهج الفيلولوجي خاصة.

تعريف النقد ومفهوم النقد الكتابي

المعنى العام للنقد : يعرفه الأستاذ حلمي القمص يعقوب[1] بقوله: "النقد بصفة عامة يعني الإدراك والتمييّز والتقييّم ومحاولة إصدار الحكم من جهة المميزات والعيوب..."[2]

ويعرفه فادي أليكساندر[3] بقوله: "هو الأسلوب المنهجي الذي يتخذه الإنسان سبيلا لمعرفة الصحيح من الخطأ، فيضع المراد نقده تحت الاختبار وتكون نتيجة الاختبار هي نتيجة النقد."[4]

مفهوم النقد الكتابي: إن النقد الخاص بالكتاب المقدس دعي بالنقد الكتابي. وله عدة تعريفات عند المسيحيين، نأخذ منها:

ماعرَّفته به دائرة المعارف المسيحية إذ ذكرت أن النقد هو "العلم الذي به نصل إلى المعرفة الكافية لأصل النص الأصلي للكتاب المقدس، وتاريخه، وحالته الحالية."[5]

---

[1] الأستاذ حلمي القمص يعقوب، من كنيسة القديسين بسيدي بشر بالإسكندرية، ومدرس بالكليات الإكليريكية ومعاهد الكتاب المقدس بدمنهور وطنطا وشبين الكوم والإسكندرية وشبرا الخيمة،بمصر . المصدر: من كتاب مدارس النقد والتشكيك.للأستاذ حلمي قمص يعقوب.ج2.مقدمة النقد الكتابي

[2] الأستاذ حلمي القمص يعقوب.المرجع السابق .ص02

[3] الأستاذ فادي أليكساندر كاتب وباحث مسيحي له عدة مؤلفات في الدفاع عن المسيحية والكتاب المقدس أهمها المدخل إلى علم النقد النصي للعهد الجديد.عضو في فريق اللاهوت الدفاعي .

[4] فادي أليكساندر.المدخل إلى علم النقد النصي للعهد الجديد.ص 12

[5] جوش ماكدويل.برهان يتطلب قرارا براهين تاريخية على صحة الإيمان المسيحي.ترجمة الدكتور القس منيس عبد النور.دار الثقافة بالقاهرة.ط:03.1991م. ص 321

أقسام النقد الكتابي:

ينقسم النقد الكتابي إلى قسمين: النقد الأدنى أو النقد المنخفض، والنقد الأعلى

النقد الأدنى والنقد النصي

الفرع الأول: النقد الأدنى (النقد المنخفض)

أولا: المفهوم العام للنقد الأدنى (المنخفض)

النقد الأدنى ويطلق عليه أيضا النقد المنخفض: هو النقد " الذي يتسم غالبيته بأن له طبيعة لغوية وتاريخية، وهو يقتصر على الكلمات، أو مجموعة من الكلمات .بحسب موقعها في المخطوطة أو النص المطبوع، والنسخ القديمة، ومصادر أخرى صحيحة يُحتكم إليه"[1].

والظاهر أن هذا التعريف عام لا يخص نصوص الكتاب المقدس فحسب بل ينطبق على كل نص أو مخطوط أدبي وغيره ، بل هو علم خاص بتحديد نص أي كتاب توجد صعوبة في معرفة نصه، وهو يختص بالدراسة اللغوية والتاريخية للكلمات، ومعرفة مدى صحتها مقارنة مع النسخ الأخرى التي يعتقد بصحتها.

أو بمعنى آخر: دراسة مخطوطات أي عمل أدبي أو تاريخي أو فكري أو علمي ضاع أصله بهدف إعادة تكوين النص الأصلي للكتاب أو أقرب صورة له.[2]

ثانيا: النقد الأدنى "للكتاب المقدس"[3]:

---

[1] نفس المرجع .ص 321

[2] أنظر أبو المُنتصر محمد شاهين التاعب: (باحث في الأديان والعقائد والمذاهب الفكرية المعاصرة). مدونة التاعب (https://alta3b.com/faqs/tcgnt/tc/)

[3] ونقصد بالكتاب المقدس العهد القديم(التوراة) والعهد الجديد (الإنجيل)

إن مدرسة النقد المنخفض (الأدنى) تؤمن بدءا بأن الكتاب المقدس وحي من الله ، وتنصب دراساتها على نصوص النسخ المختلفة من حيث اللغة وتطابقها مع المخطوطات القديمة لتصل إلى نسخة صحيحة أو أقرب صحة إلى الأصل ، يقول حلمي القمص يعقوب: " "مدرسة النقد الأدنى Lower Criticism " وهى التي تقرُّ وتعترف بالوحي الإلهي في الأسفار القانونية[1]، وتهتم بالنواحي الإيجابية مثل دراسة المخطوطات ومدى تطابقها مع الأصل، وتحديد أعمارها، وأيضًا دراسة اللغات القديمة التي كتبت بها الأسفار المقدَّسة وكذلك دراسة البيئة التي وُلدت فيها هذه الأسفار.. إلخ "[2]

وقد نتج عن هذه المدرسة علم ما يسمى ب "نقد النص" أو "النقد النصي"

الفرع الثاني: النقد النصي

إن النقد النصي مهمته التحقق من وثوقية الأسفار القديمة ودقتها يقول" **بول ليتل** "[3] : "إن فحص الأسفار وأصولها يُسمى علم نقد النص (text criticism) وهو له علاقة بمدى موثوقية النص، أي كيف يمكن مقارنة النص الحالي مع الأصول وما مدى دقة نسخ المخطوطات القديمة إلى أن وصلت إلينا الآن "[4]

وأحيانا يتداخل مفهوم النقد الأدنى والنقد النصي عند بعض الباحثين أو رجال الدين المسيحيين ،فيعتبروهما شيئا واحدا، يقول فادي الكساندر: " النقد الأدنى(النصي): وهو العلم الذي يهتم بدراسة النص (العبري/ الأرامي/ اليوناني)

[1] يقصد بالأسفار القانونية : الأسفار التي تعترف بها الكنيسة .

[2] أ حلمي القمص يعقوب. مفهوم الوحي والعصمة في الكتاب المقدس. ص03

[3] بول ليتل: كاتب وباحث مسيحي. أهم مؤلفاته: لماذا أؤمن؟

[4] بول ليتل. لماذا أؤمن؟ إجابات منطقية عن الإيمان. دار الثقافة. القاهرة. ط:01. 2012 م. ص 88

لغويا، تاريخيا، اصطلاحا بجانب موقع النص في مخطوطات الكتاب المقدس من حيث صحته، أصالته في نص المخطوطة، احتمالية وقوع خطأ نساخه، وعليه يذهب الناقد من هذه المدرسة إلى دراسة النص للوصول إلى أكبر قدر ممكن من المعرفة حول ما كتبه الناسخ"[1].

ويؤكد على أن مضمون النقد الأدنى والنقد النصي واحد حيث " يأتي النقد النصي(Textuel) في المستوى الأدنى ويدعى أحيانا "النقد الأدنى" ويقوم على الدراسة المقارنة وتصنيف آلاف مخطوطات الكتاب المقدس ، بما أن أيا من أسفار الكتاب المقدس ليس موجودا في مخطوطات أصلية (autographs) فهدف النقد النصي هو استعادة بأكثر دقة ممكنة تركيبة الكلمات الأصلية في كل كتاب عن طريق درس المخطوطات الباقية درسا مقارنا"[2].

مثال: في بداية إنجيل مرقس، الإصحاح الأول، العدد الثاني تجد أن بعض المخطوطات تقول: "كما هو مكتوب في **إشعياء النبي**" وباقي المخطوطات تقول: "كما هو مكتوب في **الأنبياء**"

يجب على عالم النقد النصي أن يعرف على وجه التحديد أيهما كتب كاتب الإنجيل !

هل كتب ‘‘إشعياء النبي’’ أم ‘‘الأنبياء’’؟

من خلال معرفة جميع المخطوطات التي تقول "إشعياء النبي" وجميع المخطوطات التي تقول "الأنبياء’’"

[1] فادي اليكساندر. المدخل إلى علم النقد النصي للعهد الجديد. ص 15

[2] أ. حلمي القمص يعقوب. كتاب النقد الكتابي : مدارس النقد والتشكيك والرد عليها (عهد حديد) . نشر في (موقع الأنبا تكلاهيمانوت القبطي الأرثوذكسي كنيسة الإسكندرية: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مصر. https://st-takla.org/P-1_.html) ج01 . ص 30.

ودراسة هذه المخطوطات ومعرفة تاريخ كتابتها وجودتها ... إلخ، ودراسة الأمور المُحيطة بهذا الاختلاف

يستطيع العالم في النهاية أن يختار من بين المخطوطات الشكل **الذي يظنه هو** صحيحاً هذا الشكل المُختار من جميع مخطوطات الكتاب هي عملية: إعادة التكوين. وبناءً على المخطوطات المُتاحة للدراسة تكون جودة هذا النص المُعاد تكوينه.

. ويبين الأستاذ حلمي القمص يعقوب موضوع النقد النصي بوضوح فيقول: "يستلزم النقد النصي دراسة النصوص من جهة اللغة التي كتبت بها النصوص، والأسلوب والتركيبات ، ومقابلة النصوص معا ، ودراسة البيئة الجغرافية والتاريخية والحضارية التي كتب فيها النص. والعاملون بالنقد النصي هم في الحقيقة علماء متخصصون وعلى أعلى درجة من الكفاءة..."[1]

*ونخلص من هذا كله إلى ما يلي:

. أن النقد الأدنى علم طبق منذ القديم على النصوص الأدبية التاريخية لمعرفة صحيحها من سقيمها، ثم نقل الباحثون هذا العلم إلى دراسة نصوص أسفار التوراة والأناجيل .

. إن أسفار التوراة والأناجيل ليست موجودة في مخطوطات أصلية، لأنها ضاعت وفقدت وإنما الموجود بين أيديهم نسخ كتبت بعد مئات السنين من موت موسى ورفع عيسى عليهما السلام.

إن موضوع علم النقد النصي ينصب على دراسة النصوص والفقرات والكلمات

[1] أ. حلمي القمص يعقوب. كتاب مدارس النقد والتشكيك والرد عليها. المرجع السابق. ص30

التي تحتويها المخطوطات ومقارنتها بمصادر أخرى يعتبرونها صحيحة.

. إن مهمة النقد النصي البحث والتأكيد على النسخ الصحيحة من المخطوطات الموجودة بين أيديهم، واكتشاف الأخطاء وتصحيحها.

. إن المخطوطات الموجودة من الكتاب المقدس كتبت بلغات عدة (يونانية، لاتينية،سريانية، قبطية...إلخ) ولذلك فإنه عند الترجمة من لغة إلى أخرى وقعت أخطاء كثيرة وهو الأمر الذي أدى إلى وجود الآلاف من نسخ الكتاب المقدس مختلفة عن بعضها البعض ، هذا بالإضافة إلى أن النَّسْخ لم يكن من الأصل . لأنه لم يكن موجودا كما ذكرنا . بل كان من نسخ أخرى تناقلها النَّسَّاخون عن بعضهم البعض ، كل ذلك دفع رجال الدين والباحثين إلى الاعتكاف لاستكشاف هذه الأخطاء سعي منهم لإيجاد نسخة أقرب إلى ما يعتقدونه من المخطوطات الأصل للكتاب المقدس.

. ورغم ما قدمته هذه المدرسة للكتاب المقدس إلا أن جميع الباحثين فيها يقرون أنهم لم ولن يصلوا إلى النسخة الأصل للكتاب المقدس ، و أن ما تم الوصول إليه هو أقرب ما يمكن من النسخة الأصل ويمكن الوثوق بها بأنها الأفضل والأحسن .

. إن النقد النصي ليس ميزانا أو اختبارا لمعرفة مدى صحة النص من عدمه، وإنما هو حل لمشكلة الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى والمتمثلة في أمرين:

أولا: ضياع النسخة الأصلية للكتاب المقدس

ثانيا: وجود اختلافات كثيرة بين المخطوطات الباقية

ومنه نقول أن النقد النصي لا يمكن تطبيقه على القرآن الكريم لأن المشكلتين السابقتين غير موجودتين في القرآن الكريم، ثم إن المسلمين لا يعتمدون على

المخطوطات أو النسخ لتناقله، وانما يعتمدون بالدرجة الأولى على الحفظ الشفاهي، وهو الأمر الذي لا يوجد عند اليهود والمسيحيين فاحتاجوا إلى النقد النصي.

النقد الأعلى: النقد الأعلى أو النقد العالي له تعريفان: تعريف قديم وتعريف حديث، ولا نذكر في هذا المقام إلا الحديث.

التعريف الحديث للنقد الأعلى:

. إن مدرسة النقد الأعلى في العصر الحديث تدرس الكتاب المقدس بعيدا عن الاعتقاد بقدسيته ، وتخضعه للنقد والتقييم كأي نص بشري آخر، يقول جوش ماكدويل : " إن الجدل المطروح بواسطة النقد العالي هو جدل خاص بأمانة، وصحة، وموثقية الأشكال الأدبية للكتابات المختلفة التي يتكوَّن منها الكتاب المقدس."[1]

إن المفهوم الحديث للنقد الأعلى المتأثر بالاتجاه العقلاني هو الذي صار طاغيا في الدراسات للكتاب المقدس في العصر الحديث عند المسيحيين، وهو المنهج نفسه الذي تأثر به وتبناه الحداثيون العرب وعملوا على تطبيقه على نصوص القرآن والسنة النبوية .أمثال: محمد أركون، ومحمد شحرور، وحامد أبو زيد، وخليل أحمد خليل، حتى قال محمد أحمد خلف الله[2]: "فللقرآن أن يقول ما يشاء وأن يستغل الأحداث كما يشاء، دون أن يلزمنا ذلك بشيء لأننا مؤمنون بوجداننا ثم باحثون بعقلنا"[3].

---

[1] جوش ماكدويل. المرجع السابق ً. ص 322

[2] أديب مصري وعالم باللغة العربية، تخرج في مدرسة دار العلوم العليا1928، ثم درس الفلسفة وعلم النفس بجامعة لندن. وعاد إلى مصر ، ليشتغل بالتعليم، وتدرج في المناصب الجامعية حتى صار رئيساً لقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية 1947 وكان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . له عدة مؤلفات أشهرها: "الفن القصصي في القرآن"

[3] بحث النص الديني والمناهج الغربية في الفكر العربي المعاصر. ص 10 (الرجوع إلى المرجع الأصلي: الفن القصصي في القرآن الكريم. أحمد خلف الله ص49)

وهكذا فقد قامت دراسات الحداثيين العرب في العصر الحدبث على "التشكيك في موثوقية النص ، وأسبقية العقل على النص، وسلطة الواقع، ونزع القداسة على النصوص الشرعية" مستلهمين ذلك كله من " الصراع التاريخي في فهم النصوص المقدسة بين طريقة الكنيسة وبين طريقة عصر الأنوار، نقلت ذلك كله إلى الساحة الإسلامية، وهذا النقل هو في الحقيقة إسقاط للواقع الغربي على الواقع الإسلامي"[1].

الفرق بين النقد الأدنى والنقد الأعلى:

يتضح من خلال التعاريف السابقة أن النقد الأدنى والنقد الأعلى في البداية، أي في العصر القديم كانت لهما نفس الغاية وإن إختلفا في الطريقة و الأسلوب، فغايتهما إثبات قدسية الكتاب المقدس والتأكيد على صحة النسخ وقانونيتها...إلخ. "لكن هذا المعنى النقي للنقد الكتابي . بخاصة النقد الأعلى . تشوها تدريجيا ...حتى ظهرت مدرسة النقد الأعلى والتي تدرس الكتاب بتجريده من عصمته وقدسية وحيه، فتشوه معنى هذا العلم."[2]

أما في العصر الحديث فقد افترقا فبقي النقد الأدنى على أصله ينطلق من أن الكتاب المقدس وحي من الله، لذلك فهو يهتم بدراسة نصوص الكتاب المقدس ومقارنة النسخ الحديثة بما توفر من المخطوطات الأصلية له، لإثبات صحته وقدسيته ، أما النقد الأعلى فهو ينطلق من عدم قدسية الكتاب المقدس وأنه منتوج بشري مثل غيره من الكتب الأدبية والتاريخية والفلسفية خاضع للنقد العقلي والعلمي، لذلك فهو يتطرق في دراسته للكتاب المقدس من حيث مصدره وثبوته ومدى قدسيته والذي

[1] حاجي رشيد . النص الديني والمناهج الغربية في الفكر العربي المعاصر "محمد أركون نموذجا". رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير . جامعة وهران . كلية العلوم الإجتماعية . قسم الفلسفة . الموسم الجامعي 2012 / 2013 . ص 20

[2] فادي أليكساندر . المرجع السابق . ص16

وصلت دراساته إلى حد نقض الكتاب المقدس بقسميه (العهد الجديد والعهد القديم) والتشكيك في قدسيته وأنه وحي من عند الله .قال القمص يعقوب: " وقد أفرز لنا النقد الأعلى الهجوم الشرس علي الكتاب المقدَّس بعهديه، فلا تكاد آية تفلت من أيديهم، ولا سيما العهد القديم، فدعوه بشريعة الغاب، وقالوا أن إله العهد القديم إله جزار يأمر بذبح الأطفال وطمر الآبار وقطع الأشجار..."[1]

ويلخص الأستاذ حلمي القمص يعقوب الفرق بين النقد الأعلى والنقد الأدنى بمثال تقريبي فيقول: " أن لفظتي " الأدنى "و"الأعلى " مستعارتان من صورة النهر الذي تجري مياهه من النبع الأعلى للمصب الأدنى، فالناقد الأدنى يضع نفسه في مستوى أدنى من الكتاب المقدَّس، معترفًا بوحيه محاولًا الارتواء منه والتمتع به، ولسان حاله يقول "فهمني يا رب فأفهم" ... أما الناقد الأعلى فهو يسعى للتوغل في أعالي النهر أقرب ما يكون من المنبع، مسلمًا نفسه لسطوة العقل فحسب، حاسبًا نفسه أنه هو الحَكم في كلمة الله، وإذ هو يترآى فوق ما ينبغي أن يترآى يتكبر ويسقط."[2].

دعوى أهمية تطبيق مناهج نقد الكتاب المقدس لفهم النص القرآني:

نادى أصحاب القراءات الحداثية بضرورة تطبيق المناهج النقدية التي طبقها النقاد الغربيون على الكتاب المقدس، لأن تطبيقها في نظرهم من شأنه أن يثبت مايدعون من كون القرآن الكريم على غير مايعتقد المسلمون كتاب بشري لا يرجع إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه مليء بالتناقض والاختلافات.

فما بد من الوقوف على أهم المناهج التي طبقت على الكتاب المقدس، ومعرفة أسباب تطبيقها عليه، من أجل الهدف نفسه، وهو مدى بيان إمكانية تطبيقها على

[1] أ. حلمي القمص يعقوب. مفهوم الوحي والعصمة في الكتاب المقدس. المرجع السابق. ص 03
[2] نفس المرجع. ص 03. بتصرف

القرآن الكريم، وسنقف مع منهجين كان لهما دور بالغ الأهمية فيما عرفته حركة نقد الكتاب المقدس ، من نتاج علمية باهرة، وهما المنهج الفيلولوجي والمنهج التاريخي، وسنقتصر على التمثيل بالمنهج الفيلولوجي نظرا لضيق المقام على الإفاضة في شرح المنهجين معا.

المنهج الفيلولوجي:

علم الفيلولوجيا يهتم بالنص المكتوب واللغة في الوقت نفسه، مما يجعله يتداخل مع العلوم الأخرى ذات الاهتمام نفسه، كاللسانيات والنقد الأدبي ، وتاريخ الآداب، فحقل تطبيق الفيلولوجيا يغطي جزئيا مختلف هذه المجالات ، أضف إلى ذلك تعدد دلالات المصطلح، وما يحتمله من معان كثيرة، فأطلق على النحو المقارن والنحو التاريخي والعروض والتراكيب والآداب وكلها علوم أصبحت اليوم مستقلة بذاتها.

وارتبط علم الفيلولوجيا أولا بالحضارة الرومانية الإغريقية ، فقد خلفت هذه الأخيرة آثارا مادية ونصوصا مكتوبة ، فدراسة الآثار المادية هي علم الأركيلوجيا، أما دراسة النصوص المكتوبة فهي علم الفيلولوجيا، لكن قبل استثمار هذه النصوص واستعمالها كمادة مساعدة في بناء التاريخ الحضاري ، لابد من التأكد من قيمتها، وهو الدور المنوط ب علم الفيلولوجيا، فالفيلولوجيا هي: دراسة النصوص بشكل يؤهل لدراسة الحضارة القديمة، مع مراعاة فترات التطور الإنساني فيها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وأدبيا ، من خلال استيعاب عقلية الشعوب وتطورها الثقافي وتمظهراتها اللغوية .

ويهتم أساسا بثلاث نقاط رئيسية : إعداد النصوص وطبعها، نقد صحة النصوص ، البحث عن مصادر النصوص .وتتمثل وظيفته في المحافظة على آثار المجتمع المكتوبة على أصلها، والمحافظة عليها سواء كانت نصوصا دينية أو فلسفية أو قانونية

أو غير ذلك[1].

ولعل الأسباب وراء وقوع أخطاء عديدة في كل مرة ينتقل فيها النص من وسيط إلى آخر ، خصوصا وأن الكتاب المقدس لا يتوفر على نص أصلي كل مانحتكم إليه نسخ مترجمة لنص مفقود ، مما يجعل الحاجة إلى نقد النصوص كبيرة ، إذا ماأردنا استثمارها بشكل جيد، ولتتم عملية الاستثمار هذه في ظروف ملائمة وتعطي ثمارها المرتقبة يبقى على الناقد مراعاة الضوابط المنهجية [2]التالية:

الضابط الأول: لا يمكن للمؤلف صاحب المخطوط الأصلي أن يكتب كلاما بلا معنى، أو كلاما متناقضا، ومعرفة ذلك لا تتطلب من الناقد معيارا سوى اعتماده على المنطق...

الضابط الثاني: لا يمكن للمؤلف أن يكتب كلاما مخالفا لقواعد اللغة التي يكتب بها مما يوجب على الناقد معرفة لغة المخطوط وقواعدها ونحوها وجميع علومها.

الضابط الثالث: لا يمكن أن يرد في النص تصريحات على لسان كاتبه مناقضة لما يفكر أو يعتقده ، أو مما لا يعرفه أصلا، فعلى الناقد في هذه الحالة أن يتوفر على معرفة تاريخية بالمؤلف وعصره.

ومما لا شك فيه أن الكتاب المقدس لا ينضبط بأي من هذه الضوابط ، فنصوصه متناقضة، ولغته مخالفة لأبسط قواعد اللغة، بل إن لغته مجهولة أصلا، فمن أهم المشاكل التي يعاني منها الكتاب المقدس مشكل اللغة، فإذا كان القرآن نص في 11 موضعا على عربية النص القرآني، فلم ترد في مجموع أسفار العهدين القديم والجديد

[1] يوسف الكلام، القراءات الحداثية للقرآن الكريم ومناهج نقد الكتاب المقدس، مركز البحوث والدراسات ، ص 66-67.

[2] المرجع نفسه، ص69.

أية إشارة إلى اللغة التي كتبت بها هذه الأسفار، ولا إلى اللغة التي تحدث بها أنبياء بنو إسرائيل، وكل ماورد فهو الإشارة إلى اللغة التي تحدث بها بنو إسرائيل وليس إلى لغة الكتاب.

وبخصوص الضابط الأول فإن المسلمين كانوا السباقين إلى وضع والتزام مثل هذه الضوابط عند نقدهم للكتب المقدسة، وذلك لما عزوا التناقض الذي تعرفه إلى تعدد مؤلفيها، وبالتالي نفي الوحي عنها، وهو استشهار جلي لقوله تعالى: "أفلا يتدبرون القرآن...كثيرا". وأما ما يتعلق بالضابط الثاني فإن اشتراط المفسرين المسلمين الإلمام باللغة العربية على كل دارس للقرآن من شأنه أن يقيه من الوقوع في الخطأ، ولعل اهتمام علماء الإسلام في ردودهم ضد الطاعنين في القرآن ببيان جهلهم باللغة العربية وأسرارها خير مثال على ذلك.

نموذج من تطبيق الحداثيين للنقد النصي على الخطاب الشرعي الإسلامي:

التصرف في تغيير مصطلحات القرآن:

اقترح أركون مصطلحين مختلفين عن مصطلحات الخطاب الإسلامي التي أسسها الوحي، فسمى نزول القرآن الكريم "الحدث القرآني" ، واستخدم "الظاهرة القرآنية" تعويضا لمصطلح القرآن مفردا كما جاء في القرآن الكريم نفسه وفي علوم القرآن برسم الدراسات التراثية حسب التعبير الحداثي[1].

فأركون يستعمل هذين المصطلحين ويبرر استخدامها بقوله: "القرآن كحدث يحصل لأول مرة في التاريخ، وبشكل أدق أقصد مايلي: التجلي التاريخي لخطاب شفهي في زمان ومكان محددين تماما، فأما الزمان فهو بدايات التبشير، وأما المكان فهو

[1] عزوز بن عمر الشوالي، التناول الحداثي للخطاب الشرعي الإسلامي وإشكاليات المنهج البدائل المستعارة والتطبيقات المأزومة،منشورات مركزتالدراسات القرآنية بالقيروان، ط01، ص81.

الجزيرة العربية"، أي أن الحدث القرآني يدل على الانبثاق التاريخي لظاهرة جديدة محصورة في زمان ومكان محددين[1].

ثم يقول: "أما التمييز بين القرآن الكريم والظاهرة القرآنية فأقصد به الفرق بين تغذية الروح الإسلامية بكلام الله تعالى، ودراسة النصوص القرآنية كما ندرس الظاهرة الفيزيائية أو البيولوجية أو الاجتماعية أو الأدبية".

ويبين من خلال هذا الاستخدام أنه يريد أن يصل إلى نتيجة ، وهي كون فهم الآيات القرآنية في الزمن المعاصر أمرا في غاية الصعوبة ، وذلك لعدم مشاهدتنا لكيفية نطق النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات والهيئة التي صدرت بها وظرفها التاريخي حتى نستطيع فهم هذه الآيات في هذا العصر، وبما أن هذا الشرط قد أصبح غير ممكن فيلزم تجريد القرآن عن مصدره إذن، ودراسته في هذا الزمن على أنه نص أدبي تطبق عليه المناهج المختلفة في دراسة النصوص الأدبية والتاريخية، وهذا هو الفرق بين القرآن والظاهرة القرآنية[2].

هذا التفسير فيه تركيز على رمزية الحدث، بما يحمله من عواطف ووجدان وانعكاسات بشرية وإلهامات غيبية ، والتغني برمزيته بعيد عن واقع القيمة ومراميها الشاملة[الإيمان والعلم والتربية وإعادة صياغة الوعي بكل متطلبات الحياة الدنيوية والأخروية] الحدث القرآني والظاهرة القرآنية هي مفاهيم تزيح القيمة ومراميها الشاملة إلى مجرد رموز تشكل عبر الانزياح الذي فعله بعض الحداثيين بغية استبعاد قيم الخطاب وإنكارها، ورفض الاعتراف بوجودها التاريخي الحقيقي.

نفس هذا البحث الاصطلاحي كان محل اهتمام من قبل بعض مفكري النهضة

[1] محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟، ص186.
[2] عزوز بن عمر الشوالي، ص119.

الإسلامية الحديثة ، ولكن بأسلوب ومنهج مختلف كما هو الشأن لمصطلح الظاهرة القرآنية الذي استخدمه مالك بن نبي في كتابه "الظاهرة القرآنية" الذي أصدره سنة 1946، فتعرض له محمد أركون وعلق عليه تعليقا مختزلا يفتقر لأدنى الحجج والبراهين[1].

الظاهرة القرآنية عند فيلسوف الحضارة ابن نبي:

مما يعلمه دارسوا فكر مالك بن نبي أن الظاهرة القرآنية عنده هي فكرة تختزل الكتاب وتبين مفهوم الوحدة التشريعية ، والوحدة التاريخية، والصورة الأدبية للقرآن مضمون الرسالة، وتكشف عن العلاقة بين القرآن والكتاب المقدس، وتخصص ميزات القرآن فيما وراء الطبيعة، والأخرويات، والكونيات ، والأخلاق ، والاجتماع، وتاريخ الوحدانية. وهي مباحث تكشف عن خصائص الوحدانية في فكر مالك بن نبي في المبادئ التالية:

- الوحي من حيث كونه ظاهرة تمتد في حدود الزمن، يتميز بخاصتين ظاهرتين هامتين: تنجيم الوحي ووحدته الكمية.

- تنجيم الوحي نزوله على دفعات وفترات، وهو يقرر بهذا الصدد أن القرآن لو نزل جملة واحدة، لتحول سريعا إلى كلمة خامدة وإلى فكرة ميتة، وإلى مجرد وثيقة دينية، لا مصدرا يبعث الحياة في حضارة وليدة. وفوق ذلك فهو يرى أن الحركة التاريخية والاجتماعية والروحية التي نهض بأعبائها الإسلام، لا سر لها إلا في هذا التنجيم.

- الوحدة الكمية وتعني أن آياته تنزل لمعالجة موضوع معين ومحدد يقول في هذا المعنى: "فكل وحي مستقل يضم وحدة جديدة إلى المجموعة القرآنية".

[1] المصدر نفسه، ص120.

– وحول العلاقة بين القرآن والكتاب المقدس، يذكر مالك بن نبي أن القرآن على الرغم من أنه يعلن بكل وضوح التشابه والقرابة إلى الكتب الابقة ، فإنه يحتفظ بصورته الخاصة في كل فصل من الفصول الفكرة التوحيدية. وفي المبحث المتعلق بالحديث عن ما وراء الطبيعة، ويتبنى ابن نبي تفسير الظاهرة القرآنية على أساس يقنع العقل الحديث ، ويؤكد أن الإسلام يعرض عقيدته الغيبية الخاصة بطريقة أكثر مطابقة للعقل ، وأكثر تدقيقا، وفي اتجاه أكثر روحية[1].

وكما مر بنا فإن أركون اعتبر كتاب الظاهرة القرآنية لابن نبي هزيلا وسطحيا. لأنه لم يمس الظاهرة القرآنية في عمقها التكويني وفي طابعها الإنسانوي[2]، ومال نحو توضيحات الفكر الاستشراقي لهذه المفاهيم فاستعارها وأضاف إليها من آراء الحداثيين لنقد القرآن وهدم مفاهيمه. ويبدو أن أركون كان أميل لاستخدام مفهوم الظاهرة القرآنية على النحو الذي قرره المستشرق الفرنسي "بلاشير"، بل أكثر من ذلك فقد وجدناه يسير على نفس منهجه في اعتبار مصطلح "الظاهرة القرآنية" جهازا اصطلاحيا ينطوي ضمن حمولته الدلالية على إشكاليات تقتضي إعادة تشكيل هوية النص القرآني بسائق كونه حدثا تاريخيا واقعيا يمكن حصره وحسابه بدقة، وبالتالي يتيح إمكانية إزالة كل الأوهام التي أحيطت به عبر الممارسة الدوغمائية المسيجة بفكرة الإيمان[3]. وهكذا أصبحت المفاهيم آلية نقدية تعيد التعرف على نص التنزيل في السياق التاريخي الإبداعي برسم الفاعلين الاجتماعيين[4].

---

[1] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص ص 154-195.

[2] محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ص64-104-111. وكذا كتابه : القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص19-20.

[3] محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ص64-104-111. وكذا القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص19-20.

[4] محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص32-33-34.

ويدرك جمهرة من الدارسين للقراءات الحداثية للوحي والتراث أن المصطلحات والمناهج التي تقلدها الحداثيون وسطروها في كتبهم لم تكن بنات أفكارهم ، وإنما في الحقيقة كانت مستعارة من حقل دراسات المستشرقين، وكم وأرادوا وكم حاولوا تطبيقه على العبارات والمصطلحات القرآنية ودراسات المستشرقين التي تناولت هذا الإجراء النقدي في نقد القرآن الكريم التي تمثل بأدق تفاصيلها البنية العميقة لمشروع الحداثيين في تفكيك المصطلح القرآني وإعادة صياغته وفقا لمقاييس مغايرة لطبيعته وحقيقته...وأوضح البراهين والحجج في ذلك دراسات المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير[1].

عرف بلاشير القرآن الكريم بمصطلحين مغايرين للمعروف في تاريخ العلوم عند علماء المسلمين، فقد أطلق عليه مصطلح "الظاهرة القرآنية" و"الواقعة القرآنية"، وذلك في المبحث الرابع من كتابه"القرآن – le coran." الذي نشر ضمن سلسلة "أعلم ذلك- sais-je que، عام 1969م.

وقال في ذلك: "لقد لزم القرآن بحكم أصله ووظيفته خلال أكثر من ألف سنة ، أن يدركه مصير كل كتاب مقدس، إنه بدا للمسلمين باعتباره رسالة نزلت مباشرة من عند الله أكثر من أي كتاب مقدس آخر، ثم أخذ يبحث في الزمن عن مبرراته اللاهوتية"[2].

"هذه الواقعة القرآنية فجرت خلال ثلاثة قرون من الزمن انقلابات سياسية واجتماعية وتطورات فكرية وأخلاقية. ونظرا علميا ودينيا، ويمكن أن نسمي هذه

[1] محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ص64-104-111. وكذا كتابه : القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص19-20.

[2] ريجيس بلاشير، القرآن ، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره ، تعريب : رضا سعادة، ص90.

المنزلات التي بلغها محمد من بابا التسهيل بـ"الواقعة القرآنية" هذه الواقعة القرآنية تمثل تداخل عناصر شديدة الاختلاف، يصعب قياس مافيها من التعقيد، ولقد انسلك تكوين المصحف في هذه الحركة، حيث ظهر في الوقت نفسه علة ومعلولا ، ذلك بأنه كان نتيجة للمقتضيات السياسية والدينية ، وقد أثار بالمقابل حبا للاطلاع وتوقا إلى يقينيات وإيضاحات كانت أساسا لعلوم القرآن"[1].

وقد استدل بلاشير على هذا المذكور حين كتب تعليقا على الآية 142 من سورة البقرة"سيقول السفهاء.....مستقيم" لما علق عليها في سياق مجموعة من التعاليق على هامش ترجمة معاني الآيات القرآنية فقال:" إن محمدا بقي على قبلة أهل الكتاب [أي بيت المقدس] مدة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا طمعا في كسب ولاء بني إسرائيل فلما يئس من ذلك تحول إلى الكعبة"، فرسم الظاهرة القرآنية بموقفه هذا أنها فعل من إبداع محمد صلى الله عليه وسلم، ثم علل الظاهرة القرآنية في مستوى تشكلها وبناء حقائقها على أنها ضرب من استعارة الفعل الإبداعي البشري. وطبق هذه النظرية على جملة أخرى من الآيات القرآنية...وبهذه التعليقات انتهى بلاشير إلى الربط الدلالي بين مفهوم الظاهرة والواقعة القرآنية ومفهوم تأنيس النص على نحو يدل دلالة واضحة أنه يسمي القرآن ضمن حدود تكوينية إبداعية وذلك بجعله من فعل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وهذا التشكيك هو محض استنتاجات لم يقدم عليها بلاشير بشأنها حجة تذكر ولا قرينة تعرف سوى مسوغات اصطلاحية وتأويل جعل منه في نهاية المطاف شبه قانون، ومع ذلك تبناها محمد أركون و محمد الشرفي وأضرابهما وجعلوها علوم العصر في نقد القرآن وإعادة تحديد مفاهيمه الاصطلاحية والدلالية[2].

---

[1] ريجيس بلاشير، معاني القرآن، حاشية ص48.

[2] عزوز بن عمر الشوالي، التناول الحداثي للخطاب الشرعي الإسلامي وإشكاليات المنهج البدائل المستعارة والتطبيقات المأزومة،منشورات مركز الدراسات القرآنية بالقيروان، ط01، ص 126-127.

لقد كان هذا الموقف منطلقا عاما في الفكر الاستشراقي التشكيكي ولكنه يتموضع ضمن رؤية الآخر للدين والوحي. غير أن الملفت للانتباه حقا هو تحول هذا الموقف إلى عقيدة فكرية ضمن تصورات مدرسة الحداثة التي تزعمها الحداثيون العرب لأنه تحول إلى أدوات يتم عبرها انتزاع قيمة القداسة من الخطاب الشرعي وتحويله إلى خطاب عادي يتساوى مع الخطاب الإبداعي ويمكن إخضاعه إلى مناهج النقد والهدم والتقويض دون عائق أو حرج تمهيدا لتحييده واستبعاده من أمس وظيفة ينهض بها في الوجود وهي صياغة وعي الناس بالدين والحياة.

من هنا نتبين البنية العميقة للتفكير الحداثي الذي تبناها أركون ونصر حامد أبو زيد ومن سار في ركابهما كيف تعود في جوهرها إلى مشروع "الفكر الاستشراقي الحديث"، وهي أدوات استعارها المقلدون دون نقد ولا مراجعة وقاموا بتطبيقها على الخطاب الشرعي الإسلامي على نحو يعبر عن الإسقاط والتسييج بأدوات الإبداع بمعزل عن طبيعته باعتباره وحيا إلهيا وعن خصوصيته بوصفه خطابا مقدسا لا يمكن بحال من الأحول التسوية بينه وبين الخطاب البشري الإبداعي مهما كانت الحجج والبراهين[1].

الخاتمة:

من خلال التطواف في هذا البحث المقتضب توصلنا إلى النتائج التالية:

1- النقد الحداثي الذي تأبطته فئة الحداثيين العرب المعاصرين لا يعتبر في عين النقد الواعي إبداعا أو ابتكارا جديدا بل هو طروحات فكرية ونقدية تلقفوها من الغرب.

2- كذلك لا يغيب عنا أن من أشهر المرجعيات التي استندت إليها الطروحات النقدية الحداثية في تقييم الخطاب الشرعي الإسلامي وتهديم بنيته هي مرجعيات مذهبية في فكرنا الإسلامي توسلت تراث المعتزلة والشيعة.

[1] المصدر نفيه، ص127-128.

3- علم النقد النصي هو منهج نقدي طبق على التوراة والإنجيل قبل، وتلقفه الحداثيون في عصرنا مطبقين إياه على الخطاب الشرعي الإسلامي بمصطلحات وعناوين مختلفة وعملوا عل تكييفه مع الوحي الإسلامي عبر مرجعيات مذهبية استشراقية لسانية وبنيوية.

4- كما مر معنا أنه لتتم عملية النقد السليم في ظروف ملائمة وجب مراعاة ضوابط منها باختصار: أن لا يكتب المؤلف صاحب المخطوط الأصلي كلاما بلا معنى، أو متناقضا، كما لا يمكنه أن يكتب كلاما مخالفا لقواعد اللغة التي يكتب بها، ووجب أن لا يرد في النص تصريحات على لسان كاتبه مناقضة لما يفكر أو يعتقده.

5- مما لا شك فيه أن الكتاب المقدس لا ينضبط بأي من هذه الضوابط ، فنصوصه متناقضة، ولغته مخالفة لأبسط قواعد اللغة.

6- وكما هو معلوم فإن المسلمين كانوا السباقين إلى وضع والتزام مثل هذه الضوابط عند نقدهم للكتب المقدسة، وذلك لما عزوا التناقض الذي تعرفه إلى تعدد مؤلفيها، وبالتالي نفي الوحي عنها.

7- مما مثلنا به في ميدان نقد الحداثيين للقرآن ما كان من اقتراح أركون مصطلحين مختلفين عن مصطلحات الخطاب الإسلامي التي أسسها الوحي، فسمى نزول القرآن الكريم "الحدث القرآني" ، واستخدم أيضا "الظاهرة القرآنية" تعويضا لمصطلح القرآن ونقل هذين المصطلحين عن المستشرق الفرنسي بلاشير.

8- ومن خلال السطو والسرقات الكثيرة للحداثيين لما وجدوه في تراث المستشرقين وإعادة إنتاج شبهاتهم مدعمين ذلك بوسائل ومناهج حديثة فإن الباحثين والدارسين للقراءات الحداثية للوحي والتراث أدركوا أن المصطلحات والمناهج التي تقلدها الحداثيون وسطروها في كتبهم لم تكن بنات أفكارهم ، وإنما هي في الحقيقة مستعارة من حقل دراسات المستشرقين.

9- تعددت التهم التي نسجها الحداثيون حول القرآن ليثبتوا لغافل أو جاهل أو ناس أن هذا الكتاب المزعوم له حفظا ومعصومية لم يحافظ على ماذكر، بل طالته يد التحريف والتبديل على أيدي النسخة طورا وعلى ألسنة القراء طورا آخر، ومن ثم رأيناهم ينطلقون صوب الغرب مستعرين أدوات ومناهج كانت بنت بيئة معينة وسياق خاص وظروف قد لا تتكرر بحيثياتها وتفصيلاتها في بيئة كالبيئة الإسلامية وإن عراها ماعراها من انحطاط وتأخر.

10- ومن خلال ماذكرنا تبين أن الجهاز المفكر به وبنية التفكير العميقة لأصحاب الفكر الحداثي كأركون وأبي زيد ومن خطا إثر خطاهم إنما تعود في جوهرها وروحها إلى مشاريع الفكر الاستشراقي الحديث ، وإن زعموا أنهم يطبقون أدوات في التحليل علمية ومناهج صارمة على الخطاب الشرعي الإسلامي.

فهرس المراجع:

1- .أركون، محمد: قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟، ترجمة هاشم صالح، ط2، دار الطليعة، بيروت لبنان، 2000م.

2- أركون، محمد: الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة هشام صالح، ط02، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ومركز الإنماء العربي، بيروت 1996م.

3- أركون، محمد: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة هاشم صالح، ط1، دار الساقي بيروت لبنان، 1999م.

4- أركون، محمد: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة هاشم صالح، ط2، دار الطليعة، بيروت-لبنان، 2005م.

5- ابن نبي، مالك: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط01، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1987م.

6- بلاشير، ريجيس: القرآن ، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره ، تعريب: رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، 1974م.

7- بول ليتل . لماذا أؤمن؟ إجابات منطقية عن الإيمان . دار الثقافة . القاهرة . ط:01 . 2012 م.

8- جوش ماكدويل . برهان يتطلب قرارا براهين تاريخية على صحة الإيمان المسيحي . ترجمة الدكتور القس منيس عبد النور . دار الثقافة بالقاهرة . ط:03 . 1991م.

9- حاجي، رشيد . النص الديني والمناهج الغربية في الفكر العربي المعاصر "محمد أركون نموذجا" . رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير . جامعة وهران . كلية العلوم الاجتماعية . قسم الفلسفة . الموسم الجامعي 2012 / 2013

10- الشوالي، عزوز بن عمر: التناول الحداثي للخطاب الشرعي الإسلامي وإشكاليات المنهج البدائل المستعارة والتطبيقات المأزومة، منشورات مركز الدراسات القرآنية بالقيروان.

11- الطالبي محمد: ليطمئن قلبي،: قضية الإيمان وتحديات الانسلاخ سلاميين ومسيحية قداسة البابا بنوا 16، من أين أتينا ؟، ماذا نحن؟، إلى أين نذهب؟، تونس دار سراس للنشر.

12- القمص، حلمي يعقوب . كتاب النقد الكتابي : مدارس النقد والتشكيك والرد عليها (عهد حديد) . نشر في (موقع الأنبا تكلاهيمانوت القبطي الأرثوذكسي كنيسة الإسكندرية: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مصر.

13- الكلام، يوسف: القراءات الحداثية للقرآن الكريم ومناهج نقد الكتاب المقدس، مركز البحوث والدراسات .